المحاضرة الثانية
في مقياس السيمياء
للسنة الثانية ماستر

التحليل السيميائي للنصوص الأدبية

إن التحليل السيميائي للنصوص الأدبية يُقصد به دراسة النص من جميع جوانبه دراسة سيميائية ، تغوص في أعماقه ، وتستكشف مدلولاته المحتملة .

وعند تتبعنا للعديد من الدراسات التحليلية لباحثين عرب وظفوا المنهج السيميائي في النصين السردي و الشعري ، توصلنا إلى نتيجة مفادها أنه لا توجد منهجية واحدة لسبر أغوار كل منهما ، بل هناك آليات إجرائية متعددة.

أولا :التحليل السيميائي للنصوص السردية

اقتحمت السيميائية عالم السرد و التأليف القصصي ، مستخلصة رموزه و دلالاته ، سابرة أغواره ، مستخرجة مختلف التأويلات الممكنة ، وقد ارتكزت أغلب الدراسات السيميائية السردية على المربع السيميائي ل (غريماس) ،وكان هناك شبه اتفاق على تقسيم البنية السردية إلى مكونات ، هي : (العنوان- الشخصيات- الزمان والمكان- الوظائف السردية " البرامج السردية" -الغلاف –الإهداء .....)

1-سيميائية العنوان: لم يول النقاد و الدارسون اهتماما لعتبات النص إلا في الدراسات السيميائية المعاصرة ، حيث اهتمت السيميائية بكل ما يحيط بالنص من عناوين وغيرها.

ولقد اشتغل العلماء في أوروبا بظاهرة العنونة ابتداء من سنة 1986 ،من خلال دراسة للعالمين الفرنسيين "فرانسوا فروري و آندي فونتان" تحت عنوان (عناوين الكتب في القرن الثامن عشر) وكان هذا الكتاب ممهدا لظهور علم جديد يسمى علم العنونة "La titrologie " ثم ظهر بعد ذلك كتاب " شارل جريفال " سنة 1973 م ،و الموسوم ب (إنتاج الاهتمام الروائي) ،و الذي يضم فصلا مخصصا ل (قوة العنوان) ، وقد برز في هذا الميدان الناقد " ليوهوك " كرائد من الرواد المؤسسين لهذا العلم ،بفضل مقالاته المنشورة ،وكتابه (علامة وعنوان) ويعود الفضل كذلك إلى" جيرار جينيت " الذي عمق مفاهيم العنونة بفضل كتابيه (قرطاس /و/عتبات) .....

لقد أولت السيميائية اهتماما كبيرا للعنوان ،باعتباره مصطلحا إجرائيا ناجحا في مقاربة النص الأدبي ،ووجه النص المصغر ،و مفتاحا أساسيا سحريا يتسلح به المحلل ؛للولوج إلى أغوار النص العميقة ،قصد تأويليها ،وقد قيل قديما (الكتاب يُقرأ من عنوانه).

لقد عرّفه (ليوهوك) بأنه (مجموع العلامات اللسانية (كلمات مفردة ، جمل ، نص) الذي يمكن أن تُدرج على رأس نص لتحدده ،و تدل على محتواه العام ،و تُعرف الجمهور بقراءته) .

في حين عرّفه "جميل حمداوي" بقوله (أول مفتاح إجرائي يفتح مغالق هذا النص سيميائيا، من أجل تفكيك مكوناته ؛قصد إعادة بنائها من جديد)

أما " أمبرتو إيكو " فقد ذهب إلى القول إن (العنوان بمثابة العلامة التي تحل بديلا عن الموضوع دون أن تمثله في جميع علائقه ،فهو يقوم بعملية إضاءة له وفتح آفاق التخيل لدى المتلقي ،بإعطائه الخيط الأول للموضوع ،وعليه فيما بعد أن يسير لاكتشاف المعالم الكبرى للموضوع الذي ينطوي عليه الخطاب)

فالعنوان هو رسالة مكثفة على هامش رسالة أخرى ممططة ومفصلة ؛بمعنى أنه إذا كان النص نظاما دلاليا ،وليس معاني مبلغة ،فإن العنوان كذلك نظام دلالي رامز ،له بنيته السطحية، ومستواه العميق ،مثله مثل النص تماما .

وأهميته تتجلى في كونه يُثير تساؤلات لا نلقى لها إجابة إلا مع نهاية العمل ،فهو يفتح شهية المتلقي للقراءة أكثر ،من خلال تراكم علامات الاستفهام في ذهنه ،والتي بالطبع سببها الأول العنوان ،فيضطر إلى دخول عالم النص ،بحثا عن إجابات لتلك التساؤلات ؛ابتغاء إسقاطها على العنوان ،ولهذا فهو لم يعد زائدة لغوية يمكن استئصالها من جسد النص ،بل أصبح عضوا أساسيا يستشار و يستأذن .

والعنوان يتطلب من المؤلف وقتا واسعا من التأمل و التدبر ؛لتوليده وتحويله ،ليصبح بنية دلالية وإشهارية عامة للنص الروائي ؛لأن صياغة العنوان جزء من الكتابة الفنية ،نظرا لما للعنوان من أهمية على المستوى الإعلامي أولا ،وعلى المستوى الفكري ثانيا ،وعلى المستوى الجمالي ثالثا .

-العلاقة بين العناوين و النصوص :

على نقيض اعتباطية العلاقة بين الدال و المدلول عند "دي سوسير" ،فإن العلاقة بين العنوان و النص علاقة مؤسسة ،ولكن هذه العلاقة قد تأخذ أشكالا وتجليات لا حصرا لها ؛لأن لعبة العنوان هي لعبة اللغة ،بمعنى أن العناوين لا تُعبر دائما على المضامين بطريقة مباشرة (أي تعكسها بكل جلاء ووضوح) ،بل نجد بعض العناوين غامضة ومبهمة ورمزية بتجريدها الانزياحي ؛حيث يتحول العنوان من كونه علامة لسانية ،أو مجموعة علامات لسانية تُشير إلى المحتوى العام للنص ،إلى كونه لعبة فنية حوارية بين التحدد و اللاتحدد ،بين المرجعية المحددة و بين الدلالات المتعددة ،وذلك في حركة دائبة بين نصين متفاعلين في زمن القراءة ،وهذا ما يطرح صعوبة في إيجاد دلالة بين العنوان و النص ،ولكن على القارئ أن يبحث عن العلاقة بين العنوان والنص ،وأن يبحث عن المرامي و المقاصد والعلاقات الرمزية الإيحائية ،فكثيرا من المبدعين كتبوا نصوصا بعناوين غامضة ،وبعيدة عن مضامينها ،مثل الكاتب المشهور الفرنسي " جورج برنانوس " يُعنون كتابه ب(الفرح) ،ويقول :(قد تعثر في كتابي هذا على كل شيء عدا الفرح) ،إنها لعبة الخفاء و التجلي ،الحضور و الغياب ،الواقع و المتخيل ،الوجود و العدم ،الاعتباطية و الحتمية ،يقول " ليسينغ " : (ينبغي ألا يكون العنوان مثل قائمة الأطعمة ،فعلى قدر بُعده عن كشف فحوى الكتاب تكون قيمته) ،في حين يقول السيميائي الإيطالي " إيكو " : (إن على العنوان أن يشوش الأفكار لا أن يحصرها).

-أنواع العناوين :

إن المتأمل في النصوص السردية ،يجد العناوين تنقسم إلى عناوين خارجية وأخرى داخلية، تتمثل الأولى في العناوين الرئيسية للعمل الإبداعي ،و الثانية تتراءى في شكل عناوين فرعية داخلية ضمن متن الرواية أو القصة .....

ومن الناحية التركيبية ،تتنوع العناوين إلى عناوين مفردة و عناوين مركبة (تركيبا إضافيا، أو وصفيا ،أو إسناديا) ،أما من الناحية الموضوعية فالعناوين تتراوح بين الحقيقي و المزيف و التجاري ...

1. **العنوان الحقيقي** :أول ما يقع عليه نظر المتلقي ،وهو العنوان الرسمي (الأصلي) ،الذي يتصدر العمل الأدبي ،ويحتل واجهته ،فيعطي للعمل بطاقة تعريف ؛لمنح النص هويته.

2. **العنـــوان الفرعـــي** : وهـــو شـــرح و تكملـــة للمعنـــى ،فهـــو يتمركـــز تحـــت العنـــوان الحقيقـــي ،و يكون بخط أقل سمك من العنوان الأصلي ،أي متفرع من العنوان الأساسي .
3. **العنـــوان المزيـــف** :وهـــو ترديـــد للعنـــوان الحقيقـــي ،وظيفتـــه تكمـــن فـــي تحديـــد العنـــوان الرســـمي ،و تعزيـــزه ،و موقعـــه يكـــون بعـــد العنـــوان الرئيســـي ،وعـــادة يكـــون بـــين صـــفحة الغـــلاف و المـــتن، وهو يحمل وظيفة تعويضية.
4. **العنـــوان الشـــكلي** :وهـــو العنـــوان الـــذي يُميـــز الـــنص و جنســـه عـــن ســـائر الأنـــواع الأدبيـــة الأخـــرى ،ومنـــه يُحـــدد المتلقـــي جـــنس الـــنص (قصـــة كانـــت أو روايـــة أو مســـرحية ...) ،وعـــادة يكـــون مكتوبـــا بـــأحرف صـــغيرة علـــى عكـــس العنـــوان الأساســـي ،الـــذي يُكتـــب بـــأحرف بـــارزة كبيـــرة، دلالـــة علـــى أهميـــة بعـــده الأيقـــوني ،ومركزيتـــه فـــي إبـــراز دلالات الروايـــة ،والعنـــوان الـــذي يُحـــدد التعيـــين الجنســـي هـــو بيـــان إيضـــاحي ،يؤكـــد مـــدى احتـــرام العمـــل الإبـــداعي لخصـــائص الجـــنس الأدبي وسماته بطريقة جمالة وفنية .
5. **العنـــوان التجـــاري** :ويقـــوم أساســـا علـــى وظيفـــة الإغـــراء ،بمـــا تحملـــه هـــذه الوظيفـــة مـــن أبعـــاد تجاريـــة ،وهـــو عنـــوان يتعلـــق غالبـــا بالصـــحف و المجـــلات... وهـــذا يعنـــي أنـــه يُؤشـــر علـــى مكـــان إصـــدار المنـــتج ،والطبعـــة والنشـــر والتوزيـــع ،وعنـــوان المطبعـــة ،بالإضـــافة إلـــى ثمـــن النســـخة ،وهذا كله يدخل ضمن جينات النشر .

ونجد " بسام قطوس " يُميز بين ثلاثة أنواع من العناوين :

1. العنـــاوين فـــي الكتـــب العلميـــة :حيـــث نجـــد المطابقـــة و التـــرابط المنطقـــي بـــين العنـــوان و مضـــمون الكتاب .
2. العنـــوان فـــي الكتابـــات الإبداعيـــة النثريـــة :ويحقـــق العنـــوان هنـــا معادلـــة صـــعبة ؛إذ يصـــعب علـــى القارئ استجلاء دلالته .
3. العنوان في النصوص الشعرية :وكذلك يجد القارئ نفسه أمام إشكالية عويصة ،لاستحالة تحقيق التوافق بين النص الشعري والعنوان ؛ويرى " جون كوهين "أن العنوان يرتبط بالنص النثري الأدبي و العلمي ؛لأن النثر يتسم بالاتساق و الانسجام ،بينما الشعر يفتقر إلى الفكرة العامة التي توحد النص ؛ولهذا نجد غياب العنوان في قصائد الشعر العربي القديم ،فتُذكر القصيدة نسبة إلى قافيتها أو رويها ،فنقول (لامية العرب مثلا) ،كما تُحدد القصيدة من خلال الحادثة أو المناسبة التي قيلت فيها :(هجاء فلان أو مدحه ...) ،ويقوم المطلع أحيانا مقام العنوان ؛لذلك استحب النقاد القدامى تحسين المطالع ؛لأنها مفاتيح القصيدة التي تحمل كل أسرار الكون الشعري

وإن العنونـــة الشـــعرية الحديثـــة ناتجـــة قبـــل كـــل شـــيء عـــن تـــأثر الشـــعر العربـــي الحـــديث بالشعر الغربي .

-وظائف العنونة :

لقـــد ذهـــب " رومـــان جاكســـون " فـــي كتابـــه (قضـــايا شـــعرية) إلـــى القـــول إن (للعنونـــة وظـــائف كثيرة ،يُساعد تحديدها في فهم النص و تفسيره ،فيضئ لنا ما كان غامضا) .

ولحصـــر هـــذه الوظـــائف قـــام بعـــض الدارســـين بتحليـــل العنـــوان ،وذلـــك بالاســـتفادة مـــن وظـــائف اللغة التي وضعها "رومان جاكسون " ،وأكدوا أن للعنونة وظائف متعددة تتمثل في :

1. الوظيفـــة المرجعيـــة (الإحاليـــة):وتـــرتبط بالســـاق ؛حيـــث تتمركـــز هـــذه الوظيفـــة فـــي المرجـــع النصـــي ،وهـــي وظيفـــة ترتكـــز علـــى موضـــوع الرســـالة ؛باعتبـــاره مرجعـــا أساســـيا تُعبـــر عنـــه الرسالة .

2. الوظيفة الانفعالية :وظيفة تتمركز في المرسِل (المخاطِب) إذ منه تنشأ الوظيفة التعبيرية ،وتُحدد العلاقة الموجودة بين (المرسِل و المرسلة) وهي تحمل في طياتها انفعالات ذاتية ،وقيما ومواقف عاطفية ومشاعر ،يُسقطها المرسل على موضوع الرسالة .
3. الوظيفة الشعرية (الجمالية) :وتختص بالرسالة في حد ذاتها ،وتتسم هذه الوظيفة بالبعد الفني والجمالي .
4. الوظيفة الإشهارية أو الإغرائية :وهي الوظيفة التي تعمل على إثارة انتباه المرسل إليه ، وهناك العديد من العناوين ذات متطلبات إيقاعية و بيانية ؛لأن العديد من العناوين ذات طابع تجاري تشويقي ،فالعنوان بإمكانه أن يُميت الكتاب أو يُحييه ؛لأن الكثير من العناوين كانت سببا في عدم رؤية بعض الكتب للنور .
5. الوظيفة التأثيرية :وتختص بالمرسل إليه ؛حيث تقوم بتحديد العلاقة الموجودة بين الرسالة و المرسل إليه ؛إذ يتم تحريض المرسل إليه وإثارة انتباهه ،وهذه الوظيفة ذاتية ،بمعنى أن المرسل إليه يُؤول الرسالة حسب ميولاته الشعرية ،وينقاد صوب شخصيته ؛لتأويل تلك الرسالة .
6. الوظيفة الوصفية (تفسيرية): وهي وظيفة مركزية لا مفر منها ،يقول العنوان عن طريقها شيئا عن النص ،بمعنى أن العنوان من خلال هذه الوظيفة يتحدث عن النص ،شارحا مضامينه ؛أي أنها تقوم على وصف العنوان بإحدى خصائصه الشكلية.

إنها وظيفة تهدف إلى تفكيك الشفرة اللغوية بعد تنسيقها من قبل المرسِل ،والهدف من التنسيق هو وصف الرسالة و تأويلها .تتحقق الوظيفة الوصفية متى كان العنوان واضحا لا غموض فيه، ككتاب "اللغة و الحجاج " لأبي بكر العزاوي ،فهو عنوان واضح الدلالة غير محتاج إلى تأويل .

-التحليل السيميائي للعنوان :

تقتضي طبيعة التحليل اللغوي التسلسل في عملية الدراسة ،بدءا بأصغر وحدة في النظام اللغوي ،إلى أعلى مراتب التركيب ،وهو الأمر الذي يضطر الباحث عند تتبعه لمعاني ودلالات الألفاظ إلى الانطلاق من الصوت اللغوي ،الذي يعد أصغر وحدة ،ثم يمر إلى الكلمة عبر ميزانها الصرفي ؛ليختم دراسته بنظام الجمل في النص المدروس ،مبتغيا من وراء كل ذلك تفجير الدلالات ،واستنطاق المعاني ،وقد اخترنا هذه الطريقة ؛لأن العنوان يعكس النص في تضاريسه السطحية العميقة .

1-البنية الصوتية :يُشكل العنوان بمقاطعه الصوتية التوقيع بالأحرف الأولى على عقد الإبداع بين الكاتب و المتلقي ،وجراء هذا يجد المحلل السيميائي نفسه مجبرا عند تحليل الظاهرة اللغوية على التطرق للمستوى الصوتي ؛باعتباره أول باب في تحليله ،وفي هذا المقام أكد "الجاحظ" على علاقة الصوت بالمعنى ،قائلا :(ويحدث التأليف من هذه الأصوات المميزة المقطعة نتيجة لاستدعاء هذه الأصوات للمعنى المقابل لها ،طبقا لما يتعارف عليه أبناء اللغة الواحدة).

بمعنى أنه عند التطرق إلى البنية الصوتية ،نحاول الكشف عن مخرج وصفة كل صوت مكون للعنوان ،ومعاني هذه الأصوات ،ثم نُسقط على المعاني الواردة في النص ،ومثاله قصة "بياض الثلج " مثلا نقول :

- الباء : صوت شفوي مجهور ،شديد منفتح ،يحمل دلالة القوة والصلابة ،فالصوت المجهور يدل على الإعلان عما في الصدر ،وإقرار الهروب .شديد قوي صلب :يدل على أنه رغم أن بياض الثلج فتاة صغيرة لطيفة رقيقة ،إلا أن لها الرأي القوي ؛إذ من خلاله قررت كسر القيود و التصدي للعنف و .... .منفتح يدل على أن الفتاة أرادت الخروج إلى عالم مفتوح ،مليء بالمخاطر أرادت ...

- أو نقول مثلا في رواية "استوكهولم" (ذلك الحلم الهارب) للروائي محمد الجزائري من بين الحروف الموجودة في هذا العنوان اللام نقول

-اللام :والتي تعني الانحراف ،انحراف الهواء أو النفس عن جانبي اللسان لحظة نطقه ،وذلك نتيجة نطق اللسان والتصاقه بسقف الفم ،واللام في النص تعني تعلق الكاتب بوطنه.

وبعدها ننهي دراسة كل صوت على حده نذهب إلى المقارنة بين نسبة الأصوات المجهورة و الأخرى المهموسة مثلا .

ففي قصيدة " نازك الملائكة " (أغنية للإنسان) ،والتي يدور مضمونها حول مرثية حزينة، نقول – وبعد دراسة كل صوت على حده – غلبت الأصوات المجهورة (الألف- الغين – النون - الياء – اللام) دون المهموسة (التاء – السين) وبما أن الشاعرة في موقف التنفيس عن الذات في لحظة غضب وانفعال ؛كان الصوت القوي وسيلة منها لإخراج المكنون الداخلي .

2-<u>البنية الصرفية</u> :يشغل المستوى الصرفي المرتبة الثانية من مستويات التحليل اللغوي ،يهتم بتفحص مختلف الأبنية الصرفية ،واستنباط الدلالات النابعة عنها ،ثم ربطها بفحوى النص ،ومثاله العنوان : (استوكهولم ، ذلك الحلم الهارب) للروائي" محمد الجزائري" فمثلا كلمة (الهارب) صيغة اسم الفاعل ،وهو الوصف الدال على الفاعل ،الجاري على حركات المضارع و سكناته ،ويشتق من الفعل للدلالة على وصف من قام به ،ويدل عادة على التغيير والاضطراب وعدم الثبوت ،ذلك أن الصفة فيه لا تثبت في الموصوف ،بل تكون عارضة آيلة للزوال ،و الصيغة التي بين أيدينا (الهارب) دلت على الاضطراب وعدم الثبوت ،فهروب الحلم دلالة عدم استقراره و ثباته في مكان معين ؛مما يحيل إحالة مباشرة على رغبة الكاتب في مطاردته أين ما حل .

فاستوكهولم رغم استقرارها في مكانها ،إلا أنها هاربة مضطربة متحركة في ذات الكاتب، يبحث عنها في كل مكان غامضة غموض الحلم

3-<u>البنية التركيبية</u> :وهو المستوى الذي يبحث في العلاقات القائمة بين المورفيمات داخل الجمل؛ ابتغاء لحظها وتحديدها ،وبما أن اللغة نظام بنائي تركيبي فلابد أن (تقوم منهجية دراسة هذا المستوى على تقصي مختلف الأبنية النحوية لجملة العنوان وطبيعة العلاقات بين ألفاظها ...).

إذن سيتم التركيز في هذا المستوى على نوع الجملة (اسمية كانت أو فعلية) إضافة إلى الحذف وكيفية الربط بين مكوناتها ... .

-<u>*الجملة الاسمية و الفعلية*</u> :تدل الاسمية على الثبات والاستقرار ،وقد نجد العمل الأدبي رغم اسمية العنوان يكون عكس ذلك (أي قلة الاستقرار والثبوت) ،فنقول هنا أن الكاتب عمل على تمويه البنية العميقة مثلا ،أما الجملة الفعلية فعكس الاسمية ؛إذ تدل على الحركة و التغيير .

- <u>*الإضافة :*</u>ودلالتها التقييد وعدم الإطلاق ،والمضاف إليه يعمل على إزالة الالتباس على المضاف ،بمعنى أن المضاف إليه يعمل على تعريف الكلمة (المضاف) ،ويعطيها كنهها و خصوصيتها ،فلولا الإضافة لوردت الكلمة (المضاف) عامة لا خاصة .

-<u>*الحذف*</u> :ومن دلالاته الإيجاز و التنبيه والاختصار ،ومن ثم التشويق وشد الانتباه ،وبالتالي يكون الحذف حجابا يخفي وراءه المعنى ،وهذا ما يدفع المتلقي إلى البحث عن هذا المحذوف ،من خلال قراءة النص ،وكشف سبب عدم الإفصاح عن شيء .

فمثلا في رواية (حمامة السلام) "لنجيب الكيلاني "نجد العنوان يتكون من مقطع واحد، تتألف بنيته من مسند (خبر) ،يتمثل في لفظ (حمامة) ،والمضاف إليه (سلام) ،وهذا المضاف يفيد الاختصاص ،أما المسند إليه المبدأ فمحذوف ،والتقدير مثلا (هذه حمامة سلام)، والحمامة التي خُصت بهذه التسمية يُنتظر منها أن تنشر السلام في مكان ما ،إن المقطع يتسم بوضوح المعنى ،وبتشويق القارئ إلى معرفة كنه ذلك السلام ،ولمن سيحمل ؟ يتبين القارئ بعد تتبع أحداث الرواية أن حمامة سلام تجسدت في شخص سكينه ،و التي أسهمت بمعية رجال القرية في إطفاء نار الفتنة ،ودفع عملية السلام .

- مثال 2 :العنوان (أغنية للإنسان) للشاعرة " نازك الملائكة " ،بنية مركبة جملة اسمية ،مكونة من مبتدأ وخبر ؛إذ جاء فيها الخبر شبه جملة ،متكونة من جار ومجرور ،في محل رفع خبر للمبدأ (أغنية) ،وحرف الجر ربط بين الكلمتين ،يقيد الكلمة ويوجهها إلى الإنسان في كل زمان ومكان .

- مثال 3 :العنوان (استوكهولم ، ذلك الحلم الهارب) ورد جملة اسمية محذوفة المبتدأ ،والذي يمكن تقديره ب (مدينة ...) ،وهذا الغياب قد يكون مرده على غياب أمر أساسي في حياة الكاتب ، فالكاتب لا يعرف لماذا سافر.

- البنية المعجمية و الدلالية :مستوى يختص بدراسة المعنى ،الذي تخلص إليه المستويات الأخرى :(الصوتي – الصرفي – التركيبي) ،ويتناول معاني الكلمات بعدها علامات لغوية .

من خلاله نتطرق إلى المعنى المعجمي للكلمة (أو الكلمات) المكونة للعنوان ،ثم نحاول إسقاطها على معنى النص ،وننظر هل وردت المعاني على حقيقتها المعجمية أم تجاوزتها إلى المجاز ،ومثاله :

قصيدة " نزار قباني " و المعنونة ب " المهرولون "

فالهرولة من الناحية المعجمية معناه (السير بسرعة) ،لكن الكاتب أفرغها من دلالتها المعجمية ،و شحنها بدلالات جديدة ؛حيث أصبحت تدل في القصيدة على اللاثبات و اللاستقرار و الاضطراب و التخاذل .والمتأمل في الملفوظات النصية الواردة على المنجز النصي يلحظ انتماءه إلى الحقل الرئيس الذي يثيره العنوان ،مثل :(لهثنا – ركضنا – تسابقنا ...) فهي كلها تدل على الاضطراب و اللاستقرار ،وهي صفات اتسم بها الرأي العربي في ظل التراكمات السياسية الزائفة .

كذلك قصيدة "نازك الملائكة" ،والموسومة ب (أغنية للإنسان)،والتي تدل على مرثية حزينة

فاللفظة (أغنية) تشير إلى معاني سارة منها :(النشوة - الطرب – الارتياح ...) ،وتدل على رقة الصوت العذب في الغناء ،وكلمة (أغن) في المعجم تدل على : كثير العشب ،إلا أنها أصبحت تدل في القصيدة على مؤشر الأنين ،والأصوات الحزينة من شفاه الضحايا و اليتامى . و الأغن :كثرة العشب :دلت على كثرة الأصوات وتعددها وتنوعها بين شيوخ و صبايا و أطفال

أما في الوحدة المعجمية (الإنسان) فهي مؤشر للعقل و الحكمة و المشاعر و الأحاسيس .

وقد ربط حرف الجر بين الكلمتين ليقيد الكلمة (أغنية) و يوجهها إلى الإنسان في كل زمان و مكان .

وكلمة (أغنية) جاءت في الصدارة ،وهذا لأهميتها ،ولعل هذه اللفظة تستدعي في الذاكرة الاسترجاع و الانفتاح ؛حيث تستذكر عنوانا يماثلها ألا وهو (أغنية الموت) "لتوفيق الحكيم" ،و (أغنية الجندول) "لعلي محمود طه" ،وهذا تناص مع عناوين سابقة .

فنقول هنا أن اللفظة انتشلتها الكاتبة من معناها المعجمي ،وألبستها حُلة جديدة ،نستشفها مع استقراء القصيدة .

2- سيميائية صورة الغلاف وألوانه :

إن ما يحتويه الغلاف من رسوم وخطوط وألوان يُعتبر عتبة من عتبات النص من خلالها يعبر السيميائي إلى أغوار النص الرمزي الدلالي .

إن الصورة المرسومة في غلاف الرواية تكافئ دلالة العنوان المكتوب، إنها ترداد بياني بالمعنى دون الكيفية ،تُؤدي إبلاغية مقصودة ،وإرسالية وظيفية تجذب القارئ، وتحاول تسريع الرصد الدلالي لمحتوى العنوان ،ولقطة مشهديه تُدرك بالعين قبل تقليب صفحات الرواية ،بمعنى أن الصورة لها قدرة على إنتاج الدلالة ،على اعتبار أن الصورة تعني تحويل التجربة الكتابية داخل العمل الروائي إلى تجربة بصرية ،وهذا ما جعل الكثير من الروائيين في العصر الحديث - ومع تقدم الشكل الطباعي- يتبارون في جماليات صورة الغلاف ودلالاته هذا من جهة ،ومن جهة أخرى جعل القارئ يُحاول قراءة هذه اللوحة قراءة دلالية تحليلية .

فمثلا في رواية (وجوه في الماء الساخن) " لعبد الله تايه " نجد مجموعة من الرسوم و الخطوط ... على صفحة الغلاف ،والتي قد تدل على :

- المستطيل :المعروف أن المستطيل يحوي بعدين غير متساويين (الطول والعرض) فربما أراد الكاتب هنا أن يرمز لهاذين البعدين على أنها يمثلان نوعين من الشخصيات داخل الرواية، الشخصية الفلسطينية والأخرى اليهودية ،وهما شخصيتان غير متساويتين .أما الزوايا الأربعة القائمة المتساوية ،فقد يرمز بهم الكاتب إلى البعد الإنساني ،والذي يتساوى عند البشر كلهم .

- أما عن الرسومات الأخرى فهي تشبه في كثير من جوانبها كائنا بشريا ،ولكن لا نستطيع أن نحيل الرسم إلى جنس أو لون أو حتى سن معينة ،ولا نستطيع أن نستخرج منه بعض الصفات الخارجية كالطول أو القصر أو لون الشعر أو.... وكأن الراسم يكتفي بالتنسيق بين مجموعة من الخطوط ما يُؤكد لنا بأن الأمر يتعلق بكائن بشري ،وليس شجرة أو...فالفنان وكأنه يحاول أن يوحد بين بني البشر ،بغض النظر عن لونها أو جنسها أو ...

- وحركة اليد التي تبدو في الصورة تكتسب حالة معينة ،يمكن تفسيرها على أنها عملية كتم للصوت ،مع تخبئة رأسه خوفا من شيء ما ،ويلتقي ذلك مع حالة الخوف التي تسيطر على العامل الفلسطيني داخل النص .

- أما شكل الأقدام على صورتها العريضة الراسخة في الأرض تحمل شعورا واضحا بالرسوخ في هذه الأرض ،وتعبر عن التحدي .

- **الألوان :**في اللوحة مجموعة من الألوان الدالة ؛إذ استخدم الفنان اللون الأسود في تحديد اللوحة، والذي قد يشير إلى الواقع المعيشي الفلسطيني ،كما استعمل اللون الأبيض ،والذي كان سيد الألوان ؛حيث غطى مساحة كبيرة من اللوحة ،ولعل البياض يُشير إلى الشخصية الفلسطينية؛ لأنها قائمة على الصفاء والنقاء والبساطة ،إضافة إلى استعماله للون الأزرق والأصفر .

ومـا تجـدر الإشـارة إليـه هنـا أن اللـون يبقـى إدراكـه مرتبطـا بالثقافـة ،فـاللون الأبـيض مـثلا عنـد شـعب قـد يكـون دلـيلا علـى الحـزن ،وعنـد آخـر دلـيلا علـى الأمـل والتفـاؤل ،ممـا يعنـي أن اللـون لا يملك دلالة قارة أو ساكنة .

ويبقـى تحليـل الغـلاف غيـر نهـائي ،ولا يمكـن أن يكـون كـذلك فـي الأحـوال جميعهـا ،إنـه نتـاج وجهة نظر معينة .

3- سـيميائية الأسـماء :تُعتبـر الشخصـية العمـود الفقـري للعمـل الروائـي إذ (لا يمكـن تصـور روايـة بـدون شخصـيات) . و الروائـي يعمـد إلـى إسـناد اسـم لكـل شخصـية فـي روايتـه ويكـون ذلـك الاختيـار و الإسـناد بدقـة وعـن قصـد ؛وذلـك ليحملهـا مجموعـة مـن الـدلالات ،فاسـم الشخصـية إيحـاء ،مـن شـأنه إثـارة جانـب مـن القصـة ،إنـه يكشـف عـن جـنس الشخصـية (ذكـر أو أنثـى) ،وموطنهـا (عربيـة – غربية) ومعتقدها الديني ...

فمـثلا فـي روايـة (ذاكـرة الجسـد) " لأحـلام مسـتغانمي" نجـد اسـم الشخصـية المحوريـة التـي دارت حولها الرواية " أحلام " وبطلها " خالد " .

- أحـلام : والـذي معنـاه (الرؤيـة \ بـاب الخيـال ...) ،ومنـه كـان هـذا الاسـم حـاملا لكـل معـاني الحيـاة الجميلـة ،التـي تمناهـا أبوهـا (سـي الطـاهر) ،والـذي كـان يحلـم بـأن يأتيـه طفـل يحقـق لـه أحلامـه، ويناضـل فـي حـب الجزائـر ،لكـن رزق بطفلـة ،رغـم هـذا أراد أن يواصـل حلمـه ،ورأى فـي هـذه الطفلـة الجزائـر الحـرة المسـتقلة ؛ولهـذا وردت بصـيغة الجمـع ،وذلـك ليشـاركه كـل الشـعب الجزائـري في هذا الحلم .

وفـي روايـة " حمامـة السـلام " لنجيـب الكيلانـي نجـد الروائـي يوظـف مجموعـة مـن الأسـماء منها :

- عبـد الـودود رضـوان :فـالودود مـن أسـماء الله الحسـنى ،ومعنـاه الكثيـر الحـب ،وهـو المحبـوب ، واللقـب رضـوان فيـه دلالـة علـى الرضـى أو الارتضـاء ،وفيـه فـأل حسـن ،ترتـاح الـنفس إلـى سـماعه ، والرضـوان :الاقتنـاع بالشـيء و قبولـه .إن شخصـية " عبـد الـودود رضـوان :لهـا قابليـة للرضـا و الاقتنـاع والحـب ،فقـد غيَـرت زوجتـه سـكينة وبعـض رجـال القريـة سـلوك الأنانيـة والكبريـاء والظلـم ،وأصبح رجلا سويا في نهاية المطاف .

4- البنـاء الخـارجي والـداخلي للشخصـيات :إن قضـية بنـاء الشخصـية مـن القضـايا المهمـة فـي بنـاء الروايـات ؛حيـث تمثـل (المحـور الـذي تـدور حولـه القصـة كلهـا ،ولا معنـى ولا وجـود لأيـة قصـة إلا بمـا فيهـا مـن شخصـية أو أكثـر) ،ولمـا كـان القـارئ يهـتم بالشخصـيات ويتابعهـا بلهفـة ؛لكـي يعـرف كـل أسـرارها وخفاياهـا ،وجـدنا الكثيـر مـن الـروائيين يسـعون إلـى التركيـز علـى رسـم الملامـح الخارجيـة لشخصـيات روايـتهم ،فتوصـف ملابسـهم والطـول والسـن والوجـه ... ، إضـافة إلـى رسـم ملامحهـم الداخليـة ؛حيـث توصـف (الأهـواء ،الهـواجس ،والخـوف ،والحـب و ...)، وإن الـراوي يحمل هذه الأوصاف (الداخلية و الخارجية) ،ويشحنها بدلالات يريد توصيلها للمتلقي ومثاله :

أ - البناء الخارجي المرفولوجي للشخصيات :

إن البنـاء الخـارجي للشخصـيات هـو مجموعـة مـن المعطيـات المترامية ،الموجـودة فـي جمـل متفرقة ،مكونة للنص الروائي ؛بحيث تمكّن المحلل من استنباط الدلالة والتأويل ،ومثاله :

يقـول الروائـي " نجيـب الكيلانـي " واصـفا شخصـيته الرئيسـية "الحـاج عبـد الـودود " فـي روايتـه " حمامـة السـلام " : (هـو ذو أنـف معقـوف ،ورأس كبيـرة ،وجبهـة عريضـة ،وعينـين نفـاذتين

يظللهما حاجبان كثيفان و...) و لعل الروائي يوحي بقوله :(رأس كبيرة) إلى قوة تدبره وتفكيره، وبقوله (عينين نفاذتين يظللهما حاجبان كثيفان) إلى دقة نظره ،ونفاذ بصيرته ، وعظيم هيبته وحنكته .

ـــ أو أن نقول في قصة "بياض الثلج " :(وأقبلت بوجهها القمري ،وابتسامتها الجميلة ...) فهذا تصوير خارجي لمظهر فلة ذات الصورة الفاتنة ،التي أثارت الغيرة داخل زوجة الأب.

ب - البناء الداخلي للشخصيات :إن الاكتفاء بالتحليل الخارجي للشخصيات لا يمنحها الدلالة الكاملة ؛لذلك لابد من الغوص في أعماق نفسياتها فنرسم عالمها الداخلي دون التورط في تناقضات. مثل :ما قالته الروائية " أحلام مستغانمي " واصفة بطل روايتها " خالد " : (هذا الرجل يُتقن الكلام إلى درجة تمكنه معها أن يمرّ بمحاذاة كل الأسئلة دون أن يُعطيك جوابا ،أو هو يعطيك جوابا عن سؤال لم تتوقع أن يجيبك عنه اليوم بالذات و أنت تطرح سؤالا آخر) فهذه الكلمات مبطنة بدلائل مختفية ،توحي بذكاء الرجل ،صاحب الكلمات الحادة والصارمة ،و المختصرة .

5- الوظائف السردية للشخصيات :إن الشخصيات تقوم بتحريك الأحداث في الرواية ،من خلال الوظائف السردية التي تضطلع بها ،ومثاله الشخصية " حياة " في رواية " أحلام مستغانمي :و التي تقوم بجملة من الوظائف ،منها وظيفة البحث عن الحرية ؛إذ أنها رغم تقيدها من قبل زوجها الضابط ،الذي شكل لها عجزا ،إلا أنها كانت تحب الحرية ،وملونة بألوان الحب ،تقول : (النساء أيضا كالشعوب ؛إذ هن أردنا الحياة فلابد أن يستجيب القدر ،حتى إن كان الذي يتحكم في أقدارهن ضابط كبير ،أو دكتاتور صغير في هيئة زوج)

6 – إشكالية الشخصية الرئيسية وتواترها في النص السردي: تُعتبر الشخصية من أهم مكونات العمل الحكائي ؛لأنها تُمثل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال ،التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي ،وقد عرّفها " فيليب هامون " بقوله (إنها وحدة دلالية – علامة – قابلة للوصف و التحليل) ولا تولد إلا من خلال ما تقوله أو ما تفعله ،أو ما يُقال عنها في النص) ،والشخصية في العمل السردي أنواع ،منها الشخصية الرئيسية التي (تقود الفعل و تدفعه إلى الأمام ،بمعنى أنها تلعب الأدوار ذات الأهمية الكبرى في العمل الروائي) ،وكذلك الثانوية ،وهي (التي يكون دورها محددا ،مقتصرا على مساعدة الشخصيات الرئيسية ،أو ربط الأحداث ؛ولهذا فحضورها ضروري).

والكثير من الدارسين يحكم برئيسية الشخصية على علاقتها بغيرها ،وتأثرها فيها ،وتأثيرها بها ،لا على اعتبارات إحصائية ،وإنما يُستخدم الإحصاء لترتيب الشخصيات داخل عمل سردي ما ،نقول :(المرتبة الأولى كانت للشخصية س وردت بتواتر بلغ ؟ مرة ...) .

بمعنى أنه في ترتيب الأهمية للشخصيات يُستحسن إبعاد التواتر عن الاعتبار ؛ذلك أنه قد نجد شخصية لا تَبرز كثيرا على الحيز النصي ،إلا أنها تتسم بالدينامية في مجرى المسار السردي ،بينما نجد شخصية أخرى تتواتر كثيرا ،إلا أنها لا يكون لها كبير الشأن في السياق ،من أجل ذلك يُفضل في تحديد مركزية الشخصية الاعتماد على الوظيفة المسندة إليها في النص السردي .